دُمُوعٌ لَا تَنْتَهِي

اليوم، يوجد في السّماء كمّيّة من النّجوم والطّيور" كثير عَلَى الأشجار. وَهَذا أحَدٌ" مِن ليال رمضان. ليلة المباركة والرّحمَة. ملأ الهواء باالعطر الحلو عندما تهب الرّياح مِن الواد صَنُوبَر. قام مَرْيَم بِيوِي عند الباب الغرفة، ناظرةً إلى السّمَاء. كانت في فِكْرٍ عَمِيقٍ.

يا" مَرِيمًا ..... مَرِيمًا ..... نَادَ سَلْمَى، مَرْيَم بِيوِي لطّعام." تعال، هَذا وَقْتُ لِطّعَام ..... كُلْ الغداء. لَمْ تسْمَع مَرْيم شيئًا. آخِرًا أخذ سَلْمَى يد المريم وقال:- تعال هنا يا جدّتِي

مَشى مريم مع سَلْمَى إلى مطبخ "الرَّحْمَة"

"الرَّحْمَة" مسكن الشيوخ قديم. كثيرٌ مِن الشّيخون يعيشون هُنا. سَلْمَى عَامِلَةٌ في مسكن الشّيوخ. وَهي فَتاةٌ مجتهدة تساعد الشيخون في مسكن الشّيوخ.

نظر مريم الطّعامُ على الطّاولة أَمَامَهَا، ذكر مريم هَذا اليوم الدّموع في بيتِهَا. كانت قلْبُهَا تضرَخ وعينيها تمطر.....

يا جَدّتِي.... يا جدّتِي.... كُلْ، كل هَذا.... هَذا لذيذة جدًّا. أُخذ حَسَن، إبن الصّغير مَرْيَم، الطّعام في الكَيل وأعطى لجدّته المَحَبّة.

ضحك حَسَن ناظرًا إلى وجه مريم، وقال:

يا جدّتي..... إنظر.... ليس لكِ أحدٌ من الأسنان في فمك. "ماذا أصاب لأسنانكِ يا جدّتي؟"

قالت الجدّة بصوتٍ خافتة :- أكل الزّمان أسناني يا وَلَدِي.....

لَم يفهم حسن شيئًا ولكن، ضحك بصوتٍ كَبير

"يا حسن، تعال هُنا... مَاذا تفعل هناك؟" نادَ الأمّ حَسَن من المَطْبخ. غضب الأمّ حَسَن. يا حَسَن، لِمَ تتكلّم لجدّتُك؟ ألم تعطينا نصيحةً.....؟ لا تلعب مع جدّتك ولا تقم قريبا منها. هي مريضة. لها كثيرٌ من الأمْراض. هل تنظر خُلق جدّتك؟ ليس لها الطّهور ولا تعلم

لتأكل الطّعام. كُلّ يومٍ رأيتُ جدّتك
مثل الطّفلِ صَغير؟ يا اللّه.....

مَساءً، جاء الأصدقاءُ عِرْفان، أبُ
الحَسَن في البيت. ملأ البيت بالكلام الطّويل
والطّعام مختلفة. رأى مريم أصدقاء إبنها وَ
جلس معهم. وبدأ كلامها... عن الأمراض السّكر
ودواء والمُسْتَشْفى وغيرها... خجل عرفان.
بعد وقتٍ قليل، رجع النّاس. غضب عرفان
أُمّهُ: "يا شيْخة، هل أنتِ سَفيهَة؟ لِم جِئْت
أمام الأصدقائي... أنتِ وسْوءٌ ملابستكِ! إنظر،
هَذا غرفتكِ. وهَذا هي عالمُكِ. لا تخرج مِن
هَذا... هل فهمتِ؟"

خاف مريم بغضب عرفان ومشى إلى

غرفتها. وكانت قلبها تبكي. وهذا الليل
لم تنام مريم. عرفت مريم أن أيام الفرح
والسرور قد مات. يا الله! لِمَ أعيش هنا؟
أحلم لهم وماذا أصاب لولدي.... ولدي
ولدي المحبّ عرفان. هل أنا أمّه؟ يا الله....
إنّ الخطأ معي..... لكن لم أحول العيش في هذه
الغرفة الصغير! شعرت مريم أن الأرض كلها
تحاول إبتلاعها.....

خرج مريم من البيتها في هذا الليل
الأسود. مشى كثيرٌ بشوارع... تابت الجدّة
وجلس أمام الدكانٌ صغير وسقطت إلى
النوم العصيق..... وهذا نومٌ أسودٌ شديد

كالحياة تُهَا.

فتح مريم عينيها. وكانت في مسكن الشّيوخ "الرّحْمة". رأى كثيرٌ من الشّيخون هُناك. ليس لهم سُرور ولكن في عينهم، هَذا آمالٌ كثيرٌ وحلمٌ حلو. كُلَّ يوم تنتظِرُ مريم لولدها. ولكن لم يجاء أحَدٌ لمَرْيَم .....

وفي المَطْبَخ بعد الطّعام، رجعت إلى غرفتها في المسكن الشّيوخ. قام بجوار الباب ناظرةً إلى السّماء.

"يا أُمّي .... يا أُمّي .... أنا عرفان .... نظر مريم في الغرفة بفرحٍ شديد. لَكِن لم توجد أَحَدٌ". بكى مَرْيَم. مَضَى الأيّ مرّت الأيّام، وتغيّرت الفصول. لكن لم تنتهى بكاءُ من المسكن الشّيوخ.

دُموعٌ من المسكن الشّيوخ لا تنتهي